(٢)

مصطلح اللسان بين المفسرين واللغويين

د. جعفر زروالي

- جزائري من مواليد عام ١٩٦٣م.
- رجل تربية وتعليم بمرحلة التعليم الثانوي.
- عمل أستاذا مشاركا ثم متعاقدا بالجامعة.
- يشغل حاليا مفتشا للتربية الوطنية بوزارة التربية الوطنية (الجزائر).
- حاصل على الماجستير، ويدرس في مرحلة الدكتوراه (السنة الثالثة بجامعة الجزائر).
- كتب مقالات وبحوثا نقدية، وله مجموعات شعرية.

مصطلح اللّسان في القرآن الكريم
بين المفسّرين واللّغويين

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تتبّع مصطلح (اللّسان) في القرآن الكريم، وذلك من حيث تدويره ومعناه ودلالته، من خلال جهود اللّغويين والمعجميين واجتهادات المفسّرين.

ولكنّ قبل الشّروع في ذلك التّتبع، كان علينا رصد الآثار النّصيّة من معاجم لغويّة ومعاجم غريب القرآن الكريم، وهي الّتي سبقت تفسير القرآن الكريم، ممّا يعني إفادة المفسّرين منها في تفسيراتهم المتعدّدة والمختلفة على التّنوّع.

كما عرّجنا بعد هذه الحقب، على المرحلة الحديثة والمعاصرة، مرحلة المعاجم المتخصّصة والموسوعات، الّتي صارت تعجّ بكثير من المعلومات في مجال الدّراسات اللّغوية أو اللّسانيّة، مستفيدة من رافدين خطيرين أولهما: تراثنا العربيّ الثّريّ، وآخرهما: ما توصّل إليه الغرب من إنجازات باهرة في هذا المجال، بعد أنّ أسّس لنفسه مناهج علميّة تطبيقيّة ناجعة، يمكن أن يرتاح لها الدّرس اللّغويّ الأكاديميّ والجامعيّ المتخصّص...

وكانت الغاية من كل هذا وذلك هو الوقوف على دلالة هذا المصطلح في تراثنا العربيّ القديم (شعرًا أو نثرًا)، الّذي حفظ لنا القرآن الكريم الكثير منه، وما زلنا نعتدّ به في العديد من الأعمال النّقديّة أو الأدبيّة أو اللّغوية.

كما وضعنا نصب أعيننا أنّ جهود القدامى في تراثنا العربيّ الإسلامي، لها الفضل الجليل فيما وصلت إليه الدّراسات اللّغوية في معاهدنا ومجامعنا وجامعاتنا، وهي دراسات يمكن أن تقارع نظيراتها في الغرب، الّتي وإن هي تفوّقت، فلا يعدو ذلك أن يكون في المنهج العلميّ، الّذي يمْكننا أن نستفيد من بعض طرائقه، الّتي يجب أن نراها لا تتعارض وخصوصيات لغتنا وتراثها الأثيل.

لقد فرض غياب مصطلح (**اللّغة**) بمعناه السّائد عن القرآن الكريم، الحذر في التّعامل مع مصطلح (**اللّسان**) الّذي استعمله للدّلالة عليها في غير موضع منه، كما أنّ تعدّد المعاني اللّغويّة للّسان، قد تربك المفسّرين وأهل اللّغة وهم يحاولون التّمييز بين المعاني المختلفة لهذا المصطلح الّذي توزّع بين العديد من الآيات القرآنيّة، وفي سياقات مختلفة أيضًا.

وسنحاول من خلال هذا البحث، رصد تلك المجهودات والجهود وتتبّعها؛ للوقوف على الدّلالات أو المعاني الّتي وقفوا عليها، وعلى اختلافاتهم في التّأويل الّذي هو بدوره يستند إلى الآثار اللّسانيّة (النّصّ)

الّتي سبقت نزول القرآن الكريم، أو تلك الّتي سايرته كالأحاديث النّبويّة الشّريفة، لنستفيد في الأخير من المنهجية العلميّة الدّقيقة الّتي سلكها القدامى في أعمالهم تلك، الّتي مكّنتهم من الوصول إلى تلك النّتائج الّتي يرتاح لها درس اللّسانيات بكل فروعها وأنواعها.

الملخص بالإنكليزيّة:

This research aims to trace the term (tongue) in the Qur'an, both in terms of recycled or meaning and significance, and through the efforts of linguists and dictionaries owners and interpreters of the Koran.

The purpose of all this is to stand on the significance of this term in the old Arab heritage, and that saved us a lot of it Qur'an, we are still used to a lot of it in cash or linguistic or literary works.

We impose the absence of the term (language) prevailing on the Koran, caution in dealing with the sense of the term (tongue), who hired him to signify it is in the position of it, the multiplicity of linguistic meanings of the tongue, may confuse the interpreters and linguists they are trying to distinguish between different this term, which is distributed among the many meanings of Quranic verses, and also different contexts.

We will try through this research, monitoring those efforts and the efforts followed, to stand on the connotations or meanings that stood out, and the differences in the interpretation of which is in turn based on the linguistic effects (text) that preceded the revelation of the Qur'an, to take advantage in the last minute of the scientific methodology pursued by veterans in their work that, which enabled them to have access to those results which relaxes her linguistics lesson in all its branches and types.

أ-توطئة:

ما زال الدّرس اللّساني العربي محتاجًا إلى الكثير من التّأصيلات والمرجعيات الّتي تقوّي شوكته، وتعلي كعبه، أمام المدّ التّنظيريّ أو التّطبيقيّ الوافد من الغرب، الّذي صار مهيمنًا بشكل كبير على المجالات القرائيّة أو الدّراسيّة تقعيدًا وتطبيقًا، حتّى ليشعرَ المرء أنّ العرب لم يعرفوا إلى هذا الدّرس سبيلًا.

وأمام هذا الوضع يأتي هذا البحث، مضافًا إلى بحوث أمثالِه كثيرةٍ، تحاول جادّة؛ الاستثمار في هذا التّراث، قصد الاستفادةِ من جهود صانعيه، والتّشجيعِ على العودة إليه تنقيبًا وتحقيقًا ودراسة، والبرهنة على فضله، في تطوّر العلوم الحديثة في مجالات علم اللّغة، بمختلف فروعه وتخصّصاته السّائدةِ اليوم، في مختلف الفضاءات الأكاديمية والمخبرية على مستوى جامعاتنا ومعاهدنا ومجامِعنا...

وقد ركّز البحث على مبحث نراه من الأهميّة بمكان، وقصَدْنا به المصطلح اللّساني في التّراث العربيّ القديم، متّخذين منه: **مصطلحَ اللّسانِ أنموذجًا من خلال القرآن الكريم**، متتبّعين في الوقت ذاته، آثاره في مختلفِ النّصوص التّراثيّة، من مثل: الشّعر الجاهليّ أو الحديث النّبويّ، بالإضافة إلى المعاجم العربيّة المختلفة، خصوصًا الرّائدةِ منها،

كذا أمّهات التّفاسير، وكتب الغريب من القرآن الكريم، كما أنّنا لم نغفل الأعمال الحديثة أو المعاصرة، خصوصًا المعاجم والموسوعات المصطلحيّة العربيّة أو المترجَمة، بغية الوقوف على مدى قوّة الصّلة بين هذه المرجعيات في تحديد مفاهيم هذا المصطلح سواءً من حيث المعنى أو من حيث الدّلالة، كلّ ذلك لكشف خبايا هذا المصطلح الّذي يعدّ الركيزةَ الأساسَ الّتي انطلق منها علم اللّسان أو علم اللّغة أو اللّسانيات، وعليه يمكن تحديد محاور هذا البحث من خلال أسئلةٍ رئيسةٍ، هي:

-ما مدى تدويرِ لفظِ (اللّسان) في القرآن الكريم؟ وما هي صيغُه الصّرفيّةُ المستعملة؟

-ما مدى حضورِ لفظ (اللّسان) في الشّعر الجاهليّ خصوصًا، وكذا الحديث النّبويّ الشّريف؟

-كيف تعامل المعجميون العرب المعاصرون مع هذا اللّفظ؟

-ما هو حظ هذا اللّفظ في التّراث الغربيّ المعاصر شرحًا ودلالة؟

إذن، سأحاول مجتهدًا، الإجابة عن هذه الأسئلة، استنادًا إلى الأصول التّراثيّة المعتمدة، وكذا المراجع الحديثة المعاصرة، آملًا أن

أضيف جديدًا يُنتفع به في الدّراسات اللّسانيّة المعاصرة على مستوى جامعاتنا ومعاهدنا ومخابر البحث في كلّ ذلك.

ب-المحاور الأساسيّة:

١- تدوير لفظِ (اللّسانِ) في القرآن الكريم وصيغه الصّرفيّة المستعملة:

ما زال القرآن الكريم وسيبقى مصدرًا ملهمًا للكثير من الدّارسين والباحثين في شتّى العلوم وعلى مرّ الأزمنة، فقد ظهرت العديد من الدّراسات والبحوث الّتي تستند إليه سواء في جانبه الإعجازي أو في بعده الجماليّ الفنّيّ، خصوصًا علوم اللّغة (وهو كتابُ لُغةٍ)، ولعلّ الدّراسات القديمة أو الحديثة وعلى دقّتها، لم تُلِمَّ بعد ولم تكتشف الكثير من خباياه الأسلوبيّة الثّريّة، وهي الدّراسات الّتي ما زالت مستمرّة إلى يومنا هذا، سواءٌ على مستوى دلالة المفردة مستقلّة أو متضامنة مع غيرها، وكذا الصّيغ الصّرفيّة الّتي جاءت وفقها، وكذا تركيب الجملة في سياقاتها العديدة، أو من خلال التّعدّد الدّلالي للكلمة والمعانيّ الّتي تؤدّيها بالنّظر إلى اللّسان (اللّغة) الأمّ الّتي جاءت على حسابها ووفق ضوابطها.

ولعلّ ظاهرة المصطلح استرعت اهتمام العديدين فراحوا مجتهدين في استخراج مصطلحات العلوم والمعارف الخاصّة بكل فنّ أو نوع من

القرآن الكريم من مثل: مصطلحات: العلم، العمارة والعمران، التّصدير، الألفاظ الأعجمية، الفساد، الظّلم، الثّورة، الهوى، الإنسان، البديع... ولكن فيما بدا لنا أنّ مصطلح (اللّسان) لم يحظ بما حظيت به الكثير من المصطلحات العلمية الأخرى، فارتأينا أن نلتفت إليه متتبّعين أثره في القرآن الكريم.

ورد لفظ (اللّسان) في القرآن الكريم بمختلف صياغاته خمسًا وعشرين (٢٥) مرّة بما فيه المكرّر، وقد جاءت موزّعة على النحو التالي:

اللّفظ	التّكرار	نص الآية ورقمها	السّورة
لسان	٠٧	لُعِنَ الذين كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ على **لِسَانِ** دَاوُودَ وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ ذلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨)	المائدة
		وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا **بِلِسَانِ** قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ الله مَن يشاء وَيَهْدِي مَن يشاء وَهُوَ العزيز الحكيم (٤)	إبراهيم
		وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ **لِّسَانُ** الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهذا **لِسَانٌ** عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣)	النحل (مرّتان)
		وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ **لِسَانَ** صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)	مريم

اللّفظ	التّكرار	نص الآية ورقمها	السّورة
		واجعل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخرين (٨٤)	الشعراء
		بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)	الشعراء
ألسنتهم	٠٦	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ **أَلْسِنَتَهُمْ** بالكتاب لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكتاب وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ الله وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)	آل عمران
		مِّنَ الذين هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الكلم عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا واسمع غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعنا لَيًّا **بِأَلْسِنَتِهِمْ** وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا واسمع وانظرنا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ الله بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)	النساء
		وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ **أَلْسِنَتُهُمُ** الكذب أَنَّ لَهُمُ الحسنى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النار وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ (٦٢)	النحل
		يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ **أَلْسِنَتُهُمْ** وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤)	النور

اللّفظ	التّكرار	نص الآية ورقمها	السّورة
		سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الأعراب شغلتنا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فاستغفر لَنَا يَقُولُونَ **بِأَلْسِنَتِهِمْ** مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)	الفتح
		إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أعداء ويبسطوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ**أَلْسِنَتَهُمْ** بالسوء وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ (٠٢)	الممتحنة
ألسنتكم	٠٣	وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ **أَلْسِنَتُكُمُ** الْكَذِبَ هذا حَلَالٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ على اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)	النحل
		إِذْ تَلَقَّوْنَهُ **بِأَلْسِنَتِكُمْ** وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ (١٥)	النور
		وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ **أَلْسِنَتِكُمْ** وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢)	الروم
لسانك	٠٣	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ **بِلِسَانِكَ** لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ	مريم

اللّفظ	التّكرار	نص الآية ورقمها	السّورة
		وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧)	
		فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ **بِلِسَانِكَ** لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨)	الدخان
		لَا تُحَرِّكْ بِهِ **لِسَانَكَ** لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦)	القيامة
لسانا	**٠٣**	وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي **لِسَانًا** فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤)	القصص
		وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَـذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ **لِّسَانًا** عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)	الأحقاف
		وَ**لِسَانًا** وَشَفَتَيْنِ (٠٩)	البلد
لساني	**٠٢**	وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن **لِّسَانِي** (٢٧)	طه
		وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ **لِسَانِي** فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣)	الشعراء
ألسنة	**٠١**	أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ **بِأَلْسِنَةٍ** حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَـئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ الله أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٩)	الأحزاب

٢- حضور لفظ (اللّسان) في الشّعر الجاهلي:

أمّا في النّصّ الشّعريّ الجاهليّ، السّابقِ لنزول القرآن الكريم، الّذي يُعتبر واحدًا من أهمّ المصادر اللّسانيّة لفهم القرآن الكريم على مستوى الكلمة، حقيقة ومجازًا، فقد دار لفظ اللّسان بشكل طبيعيّ بين ثنايا مقطوعاته وقصائده.

لقد استعمل الشّاعر الجاهليّ لفظة (اللّسان) كغيرها من الألفاظ وفي العديد من الأبيات الشّعريّة توظيفًا فطريًّا وفق ما تحتاجه بيئته أو محيطُه اللَّذان هو في اتّصال دائم بهما، فرديًّا أو جماعيًّا، وهو لا يريد من تلك الكلمة أكثر من المعنى الّذي يحقق الاكتفاء ويفي بالغرض المطلوب.

جاءت الصّيغ البنائية محدودة جدًّا بخلاف ما رأينا في الشّواهد القرآنيّة السّالفة، فاقتصر هذا التّوظيف على الأشكال الآتية: **لسان** (وهو الشّائع الغالب)، **اللّسان، بلساني، لسانك.**

ومن هذه الشّواهد نورد منها ما يلي:

يقول البرّاق:

أأترك من لا يَترُك الدّهرَ طاعتي مُلَبٍّ لما أدعو بكل لسانِ

يقول طرفة بن العبد:

وأنّ لسان المرء ما لم تكن به حصاةٌ على عوراته لدليلُ

وعند عبيد بن الأبرص:

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجب النّاسا

وفي بيت لعروة بن الورد:

لسان وسيف صارم وحفيظة ورَأيٌ لآراءِ الرّجال صَرُوع

ويقول عنترة العبسي:

ولو أنّ السّنان له لسانٌ حكى كمْ شكَّ درعًا بالفؤاد

أمّا بالتعريف، فيقول امرؤ القيس:

ولو عن نثًا غيره جاءني وجُرْح اللّسان كجرح اليد

النَّثا: القبيح من الكلام.

وقال زهير بن أبي سُلمى:

قد أورثَ السَّيْرُ وقرًا في مسامعِه وفي اللّسان إذا استفهمتَه لَفَفَا

وقال تميم بن أُبيّ:

جعلتُ لجهّال الرّجال مخاضةً ولو شئتُ قد بيّنتها بلساني

ويقول معن بن أوس المُزني:

فلا تجمعي بذلي وودّي ونصرتي وأن تجعلي فوقي لسانَكِ مِبردَا

وغيرها من الشّواهد الأخرى.

٣- الحديث النّبويّ الشّريف وتوظيف لفظ (اللّسان):

تضمَّنت العديد من الأحاديث النّبويّة الشّريفة لفظ (اللّسان)، خصوصًا تلك الّتي ترمي إلى التّوجيهات الأخلاقية وتقويم سلوك المجتمع الجديد (المجتمع الإسلاميّ النّاشئ)، بما يوافق مضامين الآيات القرآنيّة الكريمة.

لقد وقفنا على العديد من الأحاديث النّبويّة، الّتي شكّل لفظ (اللّسان) واحدًا من عناصرها المكوّنة لجملها وتعابيرها، ووفق دلالات مختلفة، امتدادًا لنظيراتها في القرآن الكريم، أو تبعًا لسنن العرب في كلامها، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد تكلّم بها، فقد قال عن نفسه: «وما يمنعني وأنا أفصح العرب، وأُنزل القرآن بلغتي وهي أفضل اللّغات بيد أني رُبيت في بني سعد بن بكر)[1]، «أنا أفصح العرب بيد أنّني من قريش»[2]...

ومن بين هذه النّصوص النّبوية الشّريفة:

(١) الاختصاص: أبو عبد الله محمد بن النّعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري رتب فهارسه السيد محمود الزّرندي المجرمي، مؤسّسة النّشر الإسلامي، قم، إيران، ج: ١٧، ص: ١٥٧.

(٢) الفائق في غريب الحديث: الزّمخشريّ، تحقيق: علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣، ١٤١٤، ج١، ص: ١٤١.

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال –صلّى الله عليه وسلّم–: «أيها الناس، إن الربّ واحد والأب أب واحد، وليست العربيةُ بأحدِكم من أبٍ أو أمّ إنّما العربيةُ **اللّسانُ**، فمن تكلّم العربيةَ فهو عربيّ».

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: «إنّ الله كتبَ على ابنِ آدمَ حظّهُ من الزّنى أدْركَ ذلك لا محالةَ، فزِنى العينِ النّظرُ وزِنى **اللّسانِ** المنطقُ...» البخاري.

عن أبي بكر بن محمّد، أنّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–كتب إلى أهل اليمن: «... وفي **اللّسانِ** الدّيّةُ» النّسائي.

عن أبي ذر قال: قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: (لم يبعثِ اللهُ نبيًّا إلا **بلسانِ** قومه» أحمد.

عن أبي موسى عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– قال: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى **لِسَانِ** نَبِيِّهِ مَا شَاءَ» البخاري.

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله جعلَ الحقَّ على **لسانِ** عمرَ وقلبِه» الترمذي.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الحجَر: «والله ليبعثنَّهُ اللهُ يومَ القيامةِ له عينانِ يبصرُ بهما و**لسانٌ** ينطقُ به...» الترمذي.

وفي حديث الدّجال، عن أبي سعيد، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «... معه منْ كلِّ **لسان**» أحمد.

عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فابتدأته فأخذت بيده قال فقلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر قال: «يا عقبة، احرس **لسانَكَ** ولْيسعْكَ بيتُك وابْكِ على خطيئتِك» أحمد.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَخَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي **لِسَانِي** نُورًا...» مسلم.

عن ابن عباس قال: كان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يدعو: «ربّ تقبّلْ توبتي واغْسلْ حوبتي وأجبْ دعوتي وثبّتْ حُجّتي واهْدِ قلبي وسدّدْ **لساني** واسْللْ سخيمَة قلْبي» أبو داود.

وغير ذلك من الأحاديث الشّريفة.

٤- دلالة لفظ اللّسان من خلال جهود أهل اللّغة واجتهادات المفسّرين:

بدأ التّفسير من عهد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لكنّه لم يكن بالحدّة الّتي صار عليها فيما بعد، أي بعد وفاته -صلّى الله عليه وسلّم- فالمعاصرون له ولنزول الوحي، إنّما كانوا يفهمونه ويعُونه على الفطرة

فهو نزل بلغتهم ولسانهم أي العربيّة، كما صرّح بذلك القرآن الكريم نفسه؛ إذ لم تكن الحاجةُ ملحّة مثلما أصبحت في العصور المتعاقبة، قال أبو عبيدة (ت:٢٠٩هـ): «فلم يحتج السّلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النّبي -صلى الله عليه وسلم- أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عربَ الألسُن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمّا فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتّلخيص. وفي القرآن مثلُ ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني»[(١)].

اشتُهر من المفسّرين على عهد رسول -صلّى الله عليه وسلّم- العديد من الصّحابة لكن أعلاهم أربعة: عليّ بن أبي طالب، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عبّاس، أُبيّ بن كعب[(٢)]، وعنهم أخذ الصّحابة ومن جاء بعدهم سواء من أهل اللّغة والمعاجم، أو المفسرين الّذين انفردوا بتصانيفهم المتّجهة للتّفسير فحسب.

(١) مجاز القرآن: أبو عبيدة التَّيْميّ، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٢، ج١، ص: ٨.

(٢) قال الإمام السّيوطي: «اشتهر بالتّفسير من الصّحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عبّاس وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعريّ وعبد الله بن الزّبير. أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه عليّ بن أبي طالب والرّواية عن الثّلاثة نزرة جدًّا وكان السّبب في ذلك تقدّم وفاتهم...»، يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص: ١٨٧.

من المنطقي جدًّا أن نذكر اللّغويين والمعجميّين قبل المفسّرين، فهم سبقوهم زمنيًّا، بمعنى أنّ علوم اللّغة وصناعة المعجم أسبق في الظّهور من علم التّفسير في مجال التّأليف والتّصنيف، فظاهرة الشّرح اللّغويّ أو المعجميّ سَابِقة لظاهرة التّفسير بالتّصانيف، كما أنّ المفسّرين تأثّروا مباشرة بشرح اللّغويين والمعجميين، وهؤلاء كانوا أقرب زمنًا من عصر التّابعين وتابعيهم فأخذوا عنهم نصوصًا كثيرة لها صلة بالصّحابة الّذين أخذوا علمهم مشافهة عن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، أو عن بعضهم بعضًا.

في القرن الثّاني للهجرة يظهر معجم (العين) للخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ)، وهو أوّل معجم لغوي للعربيّة رتّب مواده وفق تقنيّة عالية، إذ رتّبه وفق المخارج الصّوتيّة للحروف، وسيكون هذا المعجم مرجعًا أساسًا للكثير من المؤلفين فيما بعد، وفي مختلف العلوم والفنون.

ذكر الخليل لفظ (اللّسَان) في معجمه هذا، فقال: «**اللّسانُ**: ما ينطق به، يذكّر ويؤنّث، والألسن بيان التّأنيث في عدده، والألسنة في التّذكير... و**اللّسانُ**: **الكلامُ** من قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾»[1] [إبراهيم: ٠٤].

(١) معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ١٤٢٤، ج٤، ص: ٨٤، وعن علّة هذا الجمع، قال =

فهذا التّعريف سيأخذ به من يأتي بعده من المعجميين أو من المفسّرين، خصوصًا لما يقفون عند هذه الآية، أو تلك الّتي تشبهها من حيث دلالة لفظ اللّسان فيها، كما سيأتي بيانه لاحقًا.

وقال أبو عبيدة (ت:٢١٠هـ) عند شرح قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [**الأحزاب ١٩**]، «... ويقال: **لسان** حديد أي ذلق وذليق»(١).

أمّا ابن دريد (ت:٣٢١هـ) صاحب (الجمهرة)، ثاني المعاجم بعد العين رتبة، فقد أخذ بما في العين، وأضاف إليه بما يميّزه، فقال: «... و**اللّسان** معروف يذكّر ويؤنّث، فمن أنّث جمع على ألسن مثل: ذراع وأذرع، ومن ذكّر قال: لسان وألسنة مثل: حمار وأحمرة»(٢) وقال في موضع آخر: «و**اللّسانُ** الأصلُ فيه التّذكير كذلك جاء في التّنزيل: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ ومن أنّث فعلى معنى **الرّسالة**، قال الشّاعر:

=

ابن سيده: واللسان: «يُذكّر ويؤنّث، والجمع ألسنة فيمن ذكّر مثل حمار وأحمرة، وألسُن فيمن أنّث مثل ذراع وأذرُع، لأنّ ذلك قياس ما جاء على فعال من المذكّر والمؤنّث، وإن أردت باللّسان اللّغة أنّثت»، لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٣٨٨، ١٩٦٨، ج: ١٣، ص: ٣٨٦.

(١) مجاز القرآن: أبو عبيدة، ج٢، ص: ١٣٥.

(٢) جمهرة اللّغة: ابن دريد، مطبعة مجلس إدارة المعارف، حيدر آباد، باكستان، ط١، ١٣٤٤، ج٣، ص: ٥١.

أَتَتْنِـــي لِســـانُ بَنِـــي عـــامِرٍ أحاديثهـا بعـد قـول نكُـرْ»[1]

وفي (مقاييس اللّغة) لابن فارس (ت:٣٩٥هـ): «لسن: اللام والسّين وَالنُّونُ أصل صحيح واحد، يدلّ على طول لطيف غير بائن، في عضو أو غيره. من ذلك: **اللّسان**، معروف، وهو مذكّر والجمع أَلْسُنٌ، فإذا كثُر فهي ألسنة. ويقال ألسنتَه، إذا أخذته بلسانك. قال طرفة:

وإذا **تلســـــنُني ألسُـــــنُها** إنّنـــي لســـت بموهـــون غُمُـــرْ

وقد يعبّر **بالرّسالة** عن **اللّسان** فيؤنث حينئذ، قال (أي: الأعشى):

إنِّـي أتتنـي **لسـانٌ** لا أُسـرّ بهـا من عَلْوَ لا عجبٌ فيها ولا سَخَرُ»[2]

وقال في موضع آخر: «**اللِّسْنُ: اللّغة**، يقال لكلّ قومٍ لِسْنٌ، أي: لغة. وقرأ ناس: «وَمَا أَرْسَلْنَا من رَسُولٍ إِلا بِلِسْنِ قومه»[3] **إبراهيم**: ٠٤.

وقـال الرّاغـب الأصـفهاني (ت: ٥٠٢هـ): «لسـن: **اللّسـانُ الجارحـة** وقوّتُهـا، وقولـه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [**طه ٢٧**]، يعني بـه مـن قـوّة

(١) المرجع نفسه، ج٣، ص: ٤٨٧.

(٢) مقاييس اللّغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٤٤، م٥، ص: ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) المرجع نفسه، م٥، ص: ٢٤٧، جاء في هامش الصّفحة: «هذه قراءة أبي السّمال، وأبي الجوزاء، وأبي عمران الجوني، وقرأ أبو رجاء وأبو المتوّكل والجحدي: (بلُسُن) بضمّ اللام والسّين: جمع لسان. وقرئ أيضًا: (بلسن) بالضّمّ وسّكون اللام. تفسير أبي حيان».

لسانه فإنّ العقدة لم تكن في الجارحة وإنّما كانت في قوّته الّتي هي النّطق به، ويقال لكلِّ قومٍ **لسانٌ** ولِسنٌ بكسر اللام أي: **لغةٌ**، قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [**الشّعراء ١٩٥**]، ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [**الرّوم ٢٢**]، فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف النّغمات، فإنّ لكلّ إنسان نغمة مخصوصة يميّزها السّمع كما أنّ له صورة مخصوصة يميّزها البصرُ»[1].

أمّا ابن منظور (ت: ٦٣٠هـ) فقد خصّ اللّسان بحيّزٍ كبير في معجمه (لسان العرب) الّذي اختصر فيه معاجم سابقة، يقول: «**اللّسان: جارحة الكلام**، وقد يُكنّى بها عن **الكلمة** فيؤنّث حينئذ، قال أعشى باهلة:

أنِّي أتتني **لسانٌ** لا أُسرّ بها ... من عَلْوَ لا عجبٌ فيها ولا سَخَرُ»

قال ابن برّي: **اللّسان** هنا **الرّسالة** و**المقالة**؛ ومثله:

أَتَتْنِي لِسانُ بَنِي عامِرٍ ... أحاديثها بعد قول نكُرْ

قال: وقد يذكّر على معنى **الكلام**، قال الحطيئة:

(١) المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرّمة، ج١، ص: ٥٨٠.

نـدمْتُ علـى **لسـانٍ** فـات منّـي فليـت بأنّـه في جـوف عكْـمِ»[1]

وروي عن ابن سيده قوله: «**واللّسان: اللّغة**، مؤنّثة لا غير. **واللِّسنُ**، بكسر اللام: **اللّغة واللّسان: الرّسالة**. وحكى أبو عمرو: لكلّ قومٍ **لسْنٌ** أي **لغة يتكلّمون** بها»[2].

وعنه أيضًا: «**واللّسانُ المقوَلُ**، يذكّر ويؤنّث... وإن أردت **باللّسان اللّغة** أنّثت. يقال: فلان يتكلّم **بلسان** قومه. قال اللّحياني: **اللّسان** في الكلام يذكّر ويؤنّث»[3].

وقال في موضع غيره: «وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [**إبراهيم ٤**؛ أي **بلغة** قومه؛ ومنه قول الشّاعر:

أَتَتْنِـــي لِســـانُ بَنِـــي عـــامِرٍ .....

ذهب بها إلى **الكلمةِ** فأنّثها؛ وقال: أعشى باهلة:

إِنِّي أتتني **لسانٌ** لا أُسرّ بها... ذهب إلى **الخبر** فذكّره[4]»[5].

---

(١) لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٣٨٨، ١٩٦٨، ج١٣، ص: ٣٨٥، وعَكَمَ المتاع: شدّه بثوب، وهو أن يبسطه ويجعلَ فيه المتاع ويشدَّه ويسمّى حينئذ عِكْمًا. ينظر: المرجع نفسه، ج١١٢، ص: ٤١٥.

(٢) المرجع نفسه، ج١٣، ص: ٣٨٦.

(٣) المرجع نفسه، ج١٣، ص: ٣٨٦.

(٤) ويروى بضمير التّأنيث أيضا.

(٥) لسان العرب، ج١٣، ص: ٣٨٦.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشّعراء ٨٤]؛ معناه: اجعل لي ثناء حسنًا باقيًا إلى آخر الدّهر، قال كثير:

نمَتْ لأبي بكرٍ **لسانٌ** تتابعتْ بعارفة منه، فخصّت وعمّتِ»[١]

«وقوله في الحديث: (لصاحب الحقّ اليدُ و**اللِّسانُ**)؛ اليد اللّزوم، واللّسانُ: التّقاضي»[٢].

وفي (مختار الصّحاح) يقول الرّازي (ت: ٧٦٠هـ): «اللّسان جارحة الكلام، وقد يكنى به عن الكلمة فيؤنّث... و(اللّسَنُ) بفتحتين: الفصاحة وقد (لَسِنَ)... فهو (لَسِنٌ) و(ألسَنٌ) وفلان (لِسان) القوم إذا كان المتكلّم عنهم... و(لَسَنَهُ) أخذه بلسانه...»[٣].

وفي مقدّمة (القاموس المحيط)، يبدأ الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) بهذا الافتتاح: «الحمد لله منطق البلغاء في البوادي، ومودع **اللّسان أَلْسَنَ اللُّسُنِ** الهوادي»[٤]. ولا يلبث فيما بعد إلا ويشرحها «**اللّسانُ**: المقوَلُ ويؤنّث ج **ألْسنة** و**ألْسُنٌ** و**لُسُنٌ** و**اللّغة** و**الرّسالة** و**المتكلّم** عن القوم...

(١) المرجع نفسه، ج١٣، ص: ٣٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ج١٣، ص: ٣٨٦.

(٣) المرجع نفسه، ج١٣، ص: ٣٨٦.

(٤) القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ج٤، ص: ٢٦٧.

واللّسنُ بالكسر الكلام واللّغة واللّسانُ... وفلان **ينطق بلسان** الله أي بحجّته و**كلامه**»[1].

والمعاني نفسها وردت عند الزّمخشري (ت:٥٣٨هـ) في (الأساس)، وعلي الجرجاني(ت:٨١٦هـ) في (التّعريفات).

كما أنّ الصّوفيّة جعلوا من اللّسان واحدًا من مفرداتهم واصطلاحاتهم الّتي يعبّرون بها عن معارفهم، فأعطوه مفهومًا يتلاءم وذلك كلّه، يقول الكاشاني (ت:٧٣٠هـ): «**اللّسن**: ما يقع به الإفصاح الإلهي للآذان الواعيّة عما يريد أن يعلّمهم ذلك إمّا على سبيل التّعريف الإلهيّ، وإمّا على **لسان** نبيّ أو وليّ أو صدّيق»[2].

وفي واقع الأمر كلّما خَرَجَ معجم إلا وأظهر القديم في صورة جديدة، ولعلّ هذا من المألوف في ذلك الوقت، مع أنّ الحاجة كانت ملحة لنقل المعارف وتوصيلها لمن يفتقر إليها، كما أنّه يُعدّ وسيلة من وسائل التّواصل فيما بين الدّارسين والباحثين حتّى يتمَّ الإلمام بمختلف العلوم

(١) القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ج٤، ص: ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) معجم اصطلاحات الصّوفية: عبد الرّزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤١٣، ١٩٩٢، ص: ٩١، وينظر أيضًا: معجم مصطلحات الصّوفيّة: عبد المنعم الحفنيّ، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧، ١٩٨٧، ص: ٢٢٩.

السّائدة آنذاك، ولعل في ذلك خيرًا، فقد ساهمت هذه الطّريقة في حفظ المتون من الضّياع، فاللاحقون نسبوا التّنظيرات أو التّعريفات إلى من سبقهم، مراعاة للأمانة العلميّة...

ولم تشذ جهودُ أهل اللّغة من غير المعجميين عن تلك الّتي جاءوا بها هؤلاء، ففي أدب الكاتب اكتفى ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) بالتّعرض إلى قضيّة التّذكير والتّأنيث قائلًا: «**واللّسان** من أنّثه قال: **أَلْسُنٌ**، ومن ذكّره قال: **أَلْسِنَةٌ**»(١). ولم يزد على ذلك شيئًا، وفي المقابل أهمله في معجمه (تأويل مشكل القرآن) مع أنّه أورد مفردات لا يقلّ لفظ (اللّسان) عنها مشكلة، على حدّ تعبيره.

وهذا ابن الأنباري (ت:٣٢٨هـ) يقول في شرحه للمفضليات للمفضّل الضّبي (ت:١٧٨هـ) وهو يقف عند بيت المرقش:

أَتَتْنِي لِسانُ بَنِي عامِرٍ فجلّت أحاديثها عن بصرْ

واللّسان ها هنا الرّسالة وأنشد (للحطيئة):

ندمْتُ على **لسانٍ** فات منّي فليت بأنّه في جوف عكْمِ»(٢)

(١) أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق: محمّد الدّالي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٢، ١٩٨٢، ص: ٢٨٨.

(٢) شرح المفضليات: ابن الأنباري، شرح وتذييل: كارلوس يعقوب لايلْ، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠، ص: ٤٨٢.

وفي شرح الأبيات المشكلةِ الإعرابِ المسمى إيضاح الشّعر لأبي علي الفارسي (ت:٣٣٧هـ) تفصيل جامع شامل يقول: «أنشدنا عليُّ بن سليمان: (البيت ليزيد بن الحكم الثّقفي):

لسانُك لي أريٌّ، وعيبُكَ علقمُ وشرُّك مبسوط وخيرك ملتوِي

ليس يخلو (اللّسان) من أحد المعنيين، إمّا أن يكون الجارحةَ، أو الّذي بمعنى الكلام، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [**إبراهيم ٤**]، كأنّ المعنى: لغتهم. وممّا يقوّي ذلك إفراد اللّسان حيث أُريد به اللّغة، وجمْعه حيث أريد به الجارحة، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ ﴾ [**الرّوم ٢٢**]، وأنشد أبوزيد (للحطيئة):

نـدمْتُ علـى **لسـانٍ** فـات منّـي فليـت بأنّـه في جـوف عكْـمِ»

فهذا يعلم أنّه لا يريد به، الجارحة؛ لأنّ النّدم لا يقع على الأعيان وإنّما يقع على معانٍ فيها»[(١)].

فجهود اللّغويين هي امتداد لما جاء به المعجميون، خاصّة إذا علمنا، أنهم جميعًا عاصروا أو كانوا طرفًا في الحركة العلميّة الكبيرة الّتي

(١) إيضاح الشّعر: أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دار العلوم الثّقافيّة، بيروت، ١٤٠٧، ١٩٨٧، ص: ٢٧٣، ٢٧٤.

شهدتها العصور المتعاقبة الّتي عايشوها، خاصة الفترة العبّاسيّة الّتي عرفت إنتاجًا علميًّا زاخرًا ما زالت آثاره ماثلة إلى اليوم.

أمّا المفسّرون فقد اجتهدوا بدورهم محاولة منهم الإحاطة بمدلولات لفظ اللّسان، لكن في محيطه القرآني أي ضمن السّياق العام للآية القرآنيّة الّتي يشكّل أحد ركائزها الإفراديّة، وسنركّز هنا على أمهات التّفاسير وكبار المفسّرين الّذين اكتسبوا ثقة المختصّين بعلوم القرآن والقرّاء على اختلاف مستوياتهم الثّقافيّة والمعرفيّة، نظير موضوعيتهم وتحرّيهم الدّقة في الشّرح أو التّأويل والتّعليل.

يقول عبد الرّحمن بن الجوزي (ت:٥٩٤هـ) في زاده، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ [**آل عمران ٧٨**]: «... والألسنة جمع لسان قال أبو عمرو: و**اللّسان** يذكّر ويؤنث فمن ذكّره جمعه ألسنة ومن أنّثه جمعه ألسنًا، وقال الفرّاء: **اللّسان** بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكّرًا وتقول العرب: سبق من فلان **لسانٌ** يعنون به **الكلام**، فيذكّرونه، وأنشد ابن الأعرابي (لصلاح عبد القدوس):

لسانك معسول ونفسك شَحّة وعند الثّريا من صديقك مالُكًا

وأنشد ثعلب (للحطيئة):

ندمتُ على لسان كان منّي فليت بأنه في جوف عكْم

العكم العِدل، ودلّ بقوله: كان منّي، على أنّ **اللّسان الكلام**. وأنشد ثعلب (للمرقش الأكبر):

أَتَتْنِي لِسانُ بَنِي عامِرٍ أحاديثها بعد قول نكُرْ

فأنّث اللّسان لأنّه عُني **الكلمة والرّسالة**»[1].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [**الشّعراء٨٤**]، يقول القرطبيّ (ت:٦٧١هـ): «والمراد **باللّسان القول**، وأصله **جارحة الكلام**. قال القتبي: وموضع **اللّسان** موضع **القول** على الاستعارة، وقد تكنّي العرب بها عن **الكلمة**. قال الأعشى:

أَتَتْنِي لِسانُ بَنِي عامِرٍ أحاديثها بعد قول نكُرْ»[2]

ويقول في موضع آخر وهو يفسّر قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣﴾ [**النّحل ١٠٣**]، «وأراد **باللّسان القرآن**؛ لأن العرب تقول للقصيدة والبيت: **لسان**؛ قال الشاعر:

لسانُ الشّرّ تهديها إلينا وخُنتَ وما حسبتك أنْ تخونا

(١) زاد المسير في علم التّفسير: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤، ج١، ص: ٤١٢.

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشّعب، ط٢، ١٣٧٢، ج١٣، ص: ١١٢.

يعني **باللّسان القصيدة**. ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [**النّحل ١٠٣**]، أي أفصح ما يكون من العربية»[١].

وقال أيضًا عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [**يوسف ٠٢**]، «ولم يقل قرشيًّا وهذا يدلّ على أنّه منزّل بجميع **لسان** العرب»[٢].

وما يمكن التّنويه به هنا، أن القرطبيّ أشار إلى أنّ اللّسان قد يراد به القرآن الكريم، قياسًا على إطلاق العرب ذلك على القصيدة أو البيت، كما أثبتنا ذلك عند تفسيره للآية **١٠٣** من سورة النّحل.

وذهب البيضاوي (ت:٦٨٥هـ) إلى اعتبار لفظ (لسان) في قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ «**لغة** الرّجل الّذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه»[٣].

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [**مريم ٥٠**]، «يفتخر بهم النّاس ويثنون عليهم، استجابة لدعوته ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [**الشّعراء ٨٤**]، والمراد **باللّسان** ما يوجد به، و**لسان** العرب **لغتهم** وإضافته إلى الصّدق وتوصيفه بالعلو للدّلالة على

(١) المرجع نفسه، ج١٠، ص: ١٧٩.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص: ٤٤.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦، ١٩٩٦، ج٣، ص: ٤٢٠.

أنهم أحقّاء بما يثنون عليهم، وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدّول وتبدّل الملل.»[1].

أمّا أبو حيان الأندلسيّ (ت:٧٤٥هـ) في (البحر المحيط) فيقول مفصِّلًا في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [**إبراهيم ٤**]، «... وساق قصّة موسى-عليه السّلام- أنّه تعالى أرسله إلى قومه **بلسانه**... فإن كانت الدّعوة عامّة للنّاس كلّهم، أو اندرج في اتّباع ذلك الرّسول من ليس من قومه، كأنْ من لم تكن **لغتُه لغة** ذلك النّبيّ موقوفًا على تعلّم تلك **اللّغة** حتّى يفهمَها، وأن يرجع في تفسيرها إلى من يعلمها. وقيل: في الكلام حذف تقديره: وما أرسلنا من رسول قبلك إلا **بلسان** قومه، وأنت أرسلناك للنّاس كافّة **بلسان** قومِك، وقومُك يترجمون لغيرهم **بألسنتهم**، ومعنى **بلسان** قومه: **بلغة** قومه.»[2]. ثم أردف قائلًا: «وقرأ أبو السّمال، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني: **بلسْن** بإسكان السّين... وقال صاحب اللّوامح: و**اللّسن** خاصّ **باللغة**، و**اللّسان** قد يقع على **العضو**، وعلى **الكلام**. وقال ابن عطيّة مثل ذلك قال: **اللّسان** في هذه الآية يراد به **اللّغة**، ويقال: **لُسُن** و**لسَان** في اللّغة، فأمّا **العضو** فلا يقال فيه **لسن**. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكّل، والجحدريّ:

(١) المرجع نفسه، ج٤، ص: ٢٠.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان التّوحيدي، ج٤، ص: ٢٠.

لُسُن بضمّ اللام والسّين، وهو جمع **لسان** كعماد وعمُد. وقرئ أيضًا بضمّ اللام وسكون السّين مخفّف كرُسل ورُسْل»[1].

ويبدو أنّ أبا حيان وهو يتوسّع في شرح لفظ اللّسان وما يتعلّق به في بحره هذا، استغنى عن إيراده في معجمه (تحفة الأريب) الّذي خصَّصَه لغريب القرآن الكريم، مع أنّه ذكر فيه من الألفاظ ما يقتضي ذكر اللّسان إلى جانبها.

وفي آخر المطاف نقف عند ابن كثير الدّمشقي (ت:٧٧٤هـ)، الذي تعرض لشرح وتفسير لفظ اللّسان، فتوصّل إلى خمس دَلالات هي: (الجارحة، اللّغة، الكلام أو المقال، القرآن الكريم والكتب السّماويّة الأخرى، الثّناء الحسن).

فالجارحة عند قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ **[طه: ٢٧]**، قال: «... فإنّه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام»[2]، ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩﴾ **[البلد: ٠٩]**، قال: «ولسانًا ينطق به فيعبّر عمّا في ضميره، وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطّعام وجمالًا لوجهه وفمه»[3].

(١) المرجع نفسه، ج٤، ص: ٢٠.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: محمّد علي الصّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢، ١٩٨١، ط٧، م٢، ص: ٤٧٤.

(٣) المرجع نفسه، م٣، ص: ٦٤١.

واللّغة ففي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٠٤]، قال: «... أنّه يرسل إليهم رسلًا منهم بلغاتهم... عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: (لم يبعثِ الله نبيًّا إلا بلغة قومه»)[١]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم: ٩٧]، قال: «بلسانك أي يا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، واللّسانِ العربيِّ المبين الفصيح الكامل»[٢]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [الرّوم: ٢٢]، قال: «يعني اللّغات...»[٣]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [الدّخان: ٥٨]، قال: «... بلسانك الّذي هو أفصح اللّغات.»[٤].

أما الكلام والمقال، ففي قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، قال: «أي: فإذا كان الأمن، تكلّموا كلامًا

(١) المرجع نفسه، م٢، ص: ٢٩٠.

(٢) المرجع نفسه، م٢، ص: ٤٦٨.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير: محمّد علي الصّابوني، م٣، ص: ٥١.

(٤) المرجع نفسه، م٣، ص: ٣٠٦.

بليغًا فصيحًا عاليًا»[1]، ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: ٠٢]، «ينالوكم به بالقول والفعال»[2].

وعن **القرآن والكتب السّماوية**، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، قال: «يخبر تعالى أنّه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داوود، وعلى لسان عيسى بن مريم -عليهما السّلام- بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه، قال العوفي عن ابن عباس: لعنوا في التّوراة والإنجيل والزّبور وفي الفرقان»[3]، ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النّحل: ١٠٣]، قال: «أي القرآن»[4].

أخيرًا **الثّناء الحسن**، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٥٠]، قال: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس: يعني الثّناء الحسن»[5].

(١) المرجع نفسه، م٣، ص: ٨٧.

(٢) المرجع نفسه، م٣، ص: ٤٨٢.

(٣) المرجع نفسه، م١، ص: ٥٣٨.

(٤) المرجع نفسه، م٢، ص: ٣٤٧.

(٥) المرجع نفسه، م٢، ص: ٤٥٥.

فكلّ المفسّرين الّذين أتينا على الاستشهاد بأقوالهم، يجتمعون على مذهب واحد في تأويلهم للفظ اللّسان، وهذا المذهب إنّما أخذوه من عندِ المعجميين كما هو ظاهر، فتأثير المعجميين واضح جدًّا في اجتهاد هؤلاء المفسّرين).

كما لاحظنا أنّ هؤلاء المفسّرين وغيرهم كثيرًا ما يُسهبون في شرح لفظ (اللّسان) عندما يتناولون الآيات الّتي يدلّ فيها على اللّغة، وهو أمر بديهي ما دام القرآن الكريم نزل بلغةٍ لها مكانتها ومنزلتها بين الأمم والشّعوب.

٥- معالجة المعجميين العرب المعاصرين لكلمة (اللّسان):

لم يتنبّه العرب إلى علوم اللّغة أو اللّسانيّات الحديثة إلا بعد أن قطع الغرب أشواطًا كبيرة في ذلك، ومع اتصال العرب به إمّا عن طريق الاحتلال أو البعثات التّعليمية أو الوفود العلميّة، ففي أثناء ذلك بدأت حركة علميّة جادّة في العديد من جامعات الوطن العربي ومجامعها العلميّة في ولوج معترك هذا العلم؛ فكانت أولى الانطلاقات في العودة إلى التّراث من خلال مقالات أو مؤلفات محتشمة تبحث في هذا العلم، ثم انتقلت إلى مجال التّرجمة وفي الأخير إلى التّأليف الأصيل، ومع كل ذلك لم تصل الدّراسات والبحوث اللّسانيّة اللّغويّة، إلى نتائج يرتاح لها الدّرس اللّغويّ العربيّ، بسبب تعدّد المرجعيات العلمية أو انفراد كل

قطر عربيّ بإيديولوجية محدّدة، انعكست على كل فضاءاته العلميّة والأدبيّة، ومع ذلك فإنّ هناك جهودًا مشتركة مخلصة لكثير من الأسماء العربيّة الّتي تحاول تذليل العقبات وتوحيد الجهود من أجل التّأسيس لمرجعية عربيّة شاملة تستثمر في التّراث العربيّ الثّريّ، وتستفيد في الوقت نفسه من تجارب الغرب المتقدّمة في هذا المجال، وعلى المستويات النّقديّة والدّراسيّة كافة؛ انطلاقًا من تدقيق المصطلح صياغة أو ترجمة أو تعريبًا، مرورًا بتوحيد القواعد التّنظيريّة وانتهاء بالإجراءات العمليّة وكيفيات وطرائق تنفيذها ميدانيًّا.

لقد استرعى الدّرس اللّسانيّ اهتمام المعجميّة العربيّة المعاصرة، فعملت جاهدة لحصر مصطلحاته المحليّة أو تلك الوافدة وذلك بتعريبها أو ترجمتها بغية تقريبها من الباحث أو النّاقد العربيّ.

(فالموسوعة العربيّة) عرّفت اللّسان بأنّه: «عضو، يكسوه غشاء مخاطيّ، ويرقد في قاع الفم». ثم تابعت القول: «ومن المعروف أنّ اللّسان هو العضو الخاصّ بحاسّة الذّوق، ولكنّه إلى جانب ذلك ذو شأن هامّ في عمليات المضغ والبلع و**الكلام**»[1].

(١) الموسوعة العربيّة الميسّرة: تأليف جماعي، إشراف محمّد شفيق غربال، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦، ١٩٩٥م٢، ص: ١٥٥٦. آثرنا الابتداء بهذه الموسوعة، فهي أوّلًا مشروع انطلق التفكير ثمّ العمل فيه بين سنتي ١٩٥٨، ١٩٥٩ بمصر، إضافة إلى كونه =

فالموسوعة لم تزد على ذلك شيئًا، لكنّها أسهبت في الحديث عن اللّغة[١] وعلم اللّغات[٢] في موضعين مختلفين، وعلى خلافها، فقد وفّى (المعجم الوسيط) لمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، اللّسان حقّه من التّعريف، حتّى وإن كان استند في ذلك إلى المعاجم العربيّة السّابقة، وإلى المعاجم الغربيّة، فقد جاء فيه: (اللّسان).

-جسم لحميّ مستطيل متحرّك، يكون في الفم، ويصلح للتّذوّق والبلع والنّطق [مذكّر وقد يؤنّث] ج ألسنة، وأَلْسُنٌ ولُسُنٌ.

-اللّغة: وفي التّنزيل العزيز: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

-الخبر أو الرّسالة، يقال: أتاني أو أتتني منه لسانٌ.

-الحجّة: يقال فلانٌ ينطقُ بلسان الله: بحجّته.

-الثّناء: ويقال لسان النّاس عليه حسنةٌ، وفي التّنزيل العزيز: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشّعراء ٨٤]، ثناء حسنًا باقيًا.

=

منتوجًا جماعيًّا شارك فيه الكثير من المديرين والأعضاء (٢١ متخصّصًا) والأكثر من ذلك في عدد الخبراء (١١٦ خبيرًا)، وعليه فهو مصدر مهم لمثل هذه الدّراسة.

(١) ينظر: المرجع نفسه: م٢، ص: ١٥٥٧.

(٢) ينظر: المرجع نفسه: م٢، ص: ١٢٢٧.

و(لسان القوم): المتكلّم عنهم»[1].

وجاء فيه أيضًا: «اللِّسْنُ: الكلام واللّغة، يقال لكلِّ قوم لِسْنٌ. واللِّسَانُ»[2].

ويبدو تأثّر المؤلَفيْن (الموسوعة والوسيط) واضحًا بموسوعة لاروس الفرنسيّة، فقد أخذا عنها تعريف (اللّسان) في طبيعته العضوية (جارحة أو آلة النّطق).

وفي (المعجم الأدبي) مال جبّور عبد النّور، إلى التّبسيط فحدّد له ثلاثة تخريجات قائلًا: «لسان: **لغة**. لسان القوم، **المتكلّم** عنهم... **رسالة**»[3].

ويزاوج محمّد مينو بين لفظتي (**اللّغة** و**اللّسان**) في موضع واحد ثم يقول: «تمثّل اللّغة نظامًا يضمّ مجموعة من القوانين والقواعد الّتي تهيئ

(١) المعجم الوسيط: مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥، ٢٠٠٤، ص: ٨٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٨٢٥.

(٣) المعجم الأدبي: جبّور عبد النّور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ط١، ٢٢٧.

ممارسة عمليّة القول، وتتيح عمليّة الإدراك»[1]. فهو لا يفرّق بين الاثنين، ويتعامل معهما باعتبارهما مصطلحين مترادفين.

ومع أنّ العصر الحالي شهد وما زال يشهد، الظّهور المتنامي لمعاجم المصطلحات إلا أنّنا لاحظنا غياب لفظ (لسان) مادّة مستقلّة، في معظمها[2]، فكأنّما سلموا -فيما أظن- بكفاية مصطلح (لغة) الّذي فرض نفسه بديلًا عن لفظ (اللّسان).

٦- حظّ لفظ (اللّسان) في التّراث الغربيّ المعاصر:

اهتمّ الدّرس اللّسانيّ الغربيّ خصوصًا الحديث منه والمعاصر، بجميع متعلّقات علم اللّسان أو علم اللّغة فظهرت العديد من الاجتهادات الرّائدة لكثير من المدارس سواء الفرنكوفونيّة أو

(١) معجم النّقد الأدبيّ الحديث: محمّد محيي الدّين مينو، دائرة الثّقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربيّة المتحدّة، ط١، ٢٠١٢، ص: ٢٥٠.

(٢) نذكر منها: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم مصطلحات الأدب: مجدي وهبة، المصطلحات الأدبيّة الحديثة: محمّد عنّاني، المعجم المفصّل في مصطلحات علم اللّغة المقارن: مشتاق عبّاس معْن، معجم المصطلحات الأدبيّة: إبراهيم فتحي، المصطلحات الأدبيّة المعاصرة: محمّد عنّاني، معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة: سعيد علّوش، الشّامل معجم في علوم اللّغة العربيّة ومصطلحاتها: محمّد سعيد إسبر وبلال جنيدي، لكنّها وفي المقابل تناولت مصطلح (اللّغة) وتحدّثت عنه بمعزل عن لفظ (اللّسان).

الأنكلوسكسونيّة، فنجحت في فرض آرائها بدرجة كبيرة على غيرها من الدّراسات الّتي ظهرت هنا أو هناك، فصارت مرجعًا لا غنى عنه في الدّراسات والبحوث الجامعيّة والأكاديميّة.

كان للمعجم نصيب مهم بين هذه الدّراسات، حيث حصر العديد من المفردات والمصطلحات، ثمّ شرحها فجاءت تعاريفه وافيةً أحاطت بكل معاني المفردة، ممّا جعلها قابلة للتّوظيف في غير تردّد.

لقد حظي لفظ (*Langue*) باهتمام كبير من لدن المعجميين الغربيين، ففي موسوعة لالاند يقول صاحبها: «(*Langue*) لسان (**لغة**): نظام تعبيريّ لفظيّ عن الفكر، يتضمّن مصطلحًا ونحوًا محدّدين، ثابتين نسبيًّا، يشكّلان مؤسّسة اجتماعيّة مستديمة، تفرض نفسها على سكان بلد، وتظلّ شبه مستقلّة عن إرادتهم الفرديّة»[(١)].

وعند مصطلح (*Langage*) الفرنسي أو (*Language*) الإنكليزي (لغة) يقول: «وتعني أيضًا لسان. بالمعنى الحقيقيّ وظيفة التّعبير اللّفظيّ عن الفكر الدّاخليّ والخارجيّ. اللّغة ترادف اللّسان (*Langue*) في الماضي، حاليا لم تعد تقال إلا على لغة الشّعوب غير المتحضّرة، أو على طرق كلام خاصّة، مثل لهجة عاميّة، لا تتميّز بثبات اللّغات الثّقافيّة

(١) موسوعة لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٧٩، ط١، ج٢، ص: ٧٢٢.

الكبرى وانتظامها»[١]. ثمّ يضيف قائلًا: «وفي المقابل تستعمل اللّغة عادة استعمالًا متعارضًا مع اللّسان، وذلك للتّفريق بين وظيفة التّعبير الذّاتي بالكلام، عمومًا، وبين هذا النّظام اللّسانيّ أو ذلك، المحدّد في مجتمع معيّن. هكذا يُقام التّعارض بين مسألة «أصل اللّغة» (عند البشر) مسألة أصل اللّسان أو ذاك، مثل الفرنسيّة أو الإنكليزيّة»[٢].

وفي معجم (لاروس) الفرنسيّ، نجده أكثر تحديدًا في تعرّضها لمصطلح (*Langue*)، حيث عرّفه بداية بوصفه عضوًا في جهاز النّطق البشريّ، ثم تناوله بوصفه مصطلحًا أريد به اللّغة، يقول في الأوّل: «جسم سمين ممدود متحرّك، يقع في تجويف الفم وهو عند الإنسان واحدٌ من الأعضاء الرّئيسة للكلام»، وفي الأخيرة: «هو نظام من الإشارات الصّوتيّة، أو علامات محدّدة خاصّة بمجتمع من الأفراد يستخدمونه للتّعبير عن أنفسهم أو في التّواصل فيما بينهم»[٣].

ولعلّنا لا نجانب الصّواب إذا قلنا أنّ معجم لاروس وهو يعرّف اللّسان في شقّه الأوّل (آلة النّطق) قد اقتبس تعريفه ذاك من معجم (مقاييس اللّغة) لابن فارس، وقد أوردنا تعريفه في موضعه سلفًا.

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص: ٧٢١.

(٢) المرجع نفسه، ج٢، ص: ٧٢١.

(3) *le petit Larousse illustré; Paris cedex ٠٦, id: ١٩٩٨, p: ٥٨٥; ٥٨٦.*

وعند الإنكليز فكلمة: (*Tongue*) تُقابلها المفردات التّالية: «لسان، كلام، لغة، نباح، شيء كاللّسان»[١].

ويخلص ماري نوال غاري بريو في تعرضه لمصطلحي: (*Langue/ Parole*) إلى اعتبار دوسوسير قد نجح «في تقديم تعريف مهمّ لمصطلح (اللّسان) كونه قد استطاع تحديد موضوع اللّسانيات: (اللّسان هو نسق من العلامات)»[٢]، فهو قصد به اللّغة مباشرة.

ج- نتائج البحث:

والخلاصة، أنّ اللّسان لفظة ارتقت إلى مرتبة المصطلح في البحث العلمي نظرًا للمعاني الدّقيقة الّتي تحتملها سواء في الحقيقة أو في المجاز، وأعتقد أنّ بحثًا كهذا يمكن أن يُتخذ منطلقًا لدراسات أعمق وأوسع، كتلك الّتي تهدف إلى موضوعيّة الدّرس اللّسانيّ في جانبه اللّغويّ، وإلى الاستعمال غير المحدود للمفردة، لرفع الحرج عن الباحثين وهم يحاولون توظيف هذا المصطلح في أعمالهم المختلفة.

يمكن للمعجم اللّسانيّ العربيّ المعاصر أن يستفيد من الرّصيد المرجعي الكبير الّذي وظّف كلمة اللّسان انطلاقًا من الشّعر الجاهليّ

(١) المورد: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

(٢) المصطلحات المفاتيح في اللّسانيات: ماري نوال غاري بريو، ترجمة: عبد القادر فهيم الشّيباني، ط١، سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠٠٧، ص: ٦٤.

مرورًا بالقرآن الكريم والحديث الشّريف، ثم المعاجم اللّغويّة أو المتخصّصة وجهود أهل اللّغة، وكذا من اجتهادات المفسّرين، وانتهاء بالإسهامات الغربيّة الرّائدة في هذا المجال لكن بمراعاة الاختلافات البائنة أو المحتملة بين البيئتين سواء من حيث خصوصيات الرّصيد اللّغويّ أو الثّقافيّ الّذي يميّزهما، فكما لا يخفى أن هذه الفروق ليست بين بيئتنا العربية وبيئتهم، بل نجدها حتّى بين أكثر من بيئة عندهم.

وقد توصّل البحث إلى النّتائج التّاليّة:

-مفهوم اللّسان له مدلولات ثابتة في الثّقافة العربيّة على امتدادها التّاريخي وحضورها الآني.

-تَوافقَتْ دلالَةُ اللسانِ في القُرآنِ والدّلالَة اللغويّة عند علماء العرب، كغيره من الألفاظ الأخرى، وعليه فهو شاهد على ميراث عربيّ قديم يتجاوز حدود القبيلة الواحدة.

-كان للمعجم العربيّ التّأثير الواضح في المصنّفات الّتي جاءت من بعده، ونخص بالذّكر تفاسير القرآن الكريم، فالمفسّرون اعتمدوا كليّة على ما أورده المعجميّون، فهؤلاء استندوا في وضع معاجمهم على السّائد في البيئة العربيّة النّاطقة السّليمة من أيّة شائبة من لحن أو تحريف أو عجمة (عصور الاحتجاج: القرن الثّاني للحضر والرّابع للبادية)، كما أنّ الكثير منهم عاصروا أو كانوا قريبين من عصر رواة الحديث النّبويّ

(فالخليل عاصر الإمام مالك، وأبو عبيدة عاصر مسلمًا والبخاري وأحمد، وابن دريد عاصر أبا داوود والترمذي... وهكذا) فكثيرًا ما تضمّنت كتبهم تفسيرًا لآيات عديدة من القرآن الكريم.

-من خلال القراءة المستفيضة للمصنّفات الّتي أتينا على ذكرها أمكننا استنباط خمس قضايا تتعلّق بمصطلح (اللّسان)، وهي:

١-جذر اللّسان واللِّسن: لسن.

٢-فيما يتعلّق بالتّأنيث والتّذكير، فإذا أردنا باللّسان اللّغة أنّثنا وجمعناه على ألْسن، وإذا أردنا به الكلام ذكّرنا وجمعناه على ألْسنة.

٣-أبرز الدّلالات الّتي يخرج إليها لفظ اللّسان من حيث الحقيقة هي:

الجارحة (آلة النّطق)، الكلام، اللّغة، الرّسالة أو المقالة أو الخبر، الأسلوب والطريقة.

٤-يستعمل اللّسان استعمالًا مجازيًّا، فيخرج عن المعنيين التّقليديين: الجارحة واللّغة.

٥-لفظ (مصطلح) اللّسان بديل ممتاز للّغة وبتزكية مباشرة من القرآن الكريم.

أملنا أن يمتدّ البحث ليشمل مصطلحات لسانية أخرى، تضمّنها القرآن الكريم من مثل: (**الكلام، النّطق، القول، اللّغو**...) حتى نؤصّل لثقافتنا الاصطلاحيّة الّتي شابها الكثير من الخلط والتّدليس.

مصادر البحث:

١. الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت (دون طبع، دون تاريخ).

٢. الاختصاص: أبو عبد الله محمد بن النّعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، رتب فهارسه السيد محمود الزّرندي المجرمي، مؤسّسة النّشر الإسلامي، قم، إيران

٣. أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق: محمّد الدّالي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٢، ١٩٨٢.

٤. الفائق في غريب الحديث: الزّمخشريّ، تحقيق: علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣، ١٤١٤، ج١.

٥. أنوار التّنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦، ١٩٩٦.

٦. إيضاح الشّعر: أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دار العلوم الثّقافيّة، بيروت، ١٤٠٧، ١٩٨٧.

٧. تفسير الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشّعب، ط٢، ١٣٧٢، ج١٣.

٨. جمهرة اللّغة: ابن دريد، مطبعة مجلس إدارة المعارف، حيدر آباد، باكستان، ط١، ١٣٤٤، ج٣.

٩. زاد المسير في علم التّفسير: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤، ج١.

١٠. شرح المفضليات: ابن الأنباري، شرح وتذييل: كارلوس يعقوب لايلْ، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠.

١١. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ١٤٢٤، ج٤.

١٢. القاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣، ١٩٨٣، ج٤.

١٣. لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٣٨٨، ١٩٦٨، ج١٣.

١٤. مجاز القرآن: أبو عبيدة التَّيْميّ، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٢، ج١.

١٥. مختصر تفسير ابن كثير: محمّد علي الصّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢، ١٩٨١، ط٧.

١٦. المعجم الأدبي: جبّور عبد النّور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ط١، ٢٢٧.

١٧. المعجم الوسيط: مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥، ٢٠٠٤.

١٨. معجم اصطلاحات الصّوفية: عبد الرّزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤١٣، ١٩٩٢.

١٩. معجم النّقد الأدبيّ الحديث: محمّد محيي الدّين مينو، دائرة الثّقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربيّة المتحدّة، ط١، ٢٠١٢.

٢٠. المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرّمة، ج١.

٢١. المصطلحات المفاتيح في اللّسانيات: ماري نوال غاري بريو، ترجمة: عبد القادر فهيم الشّيباني، ط١، سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠٠٧.

٢٢. المورد: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

٢٣. الموسوعة العربيّة الميسّرة: تأليف جماعي، إشراف محمّد شفيق غربال، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦، ١٩٩٥م٢.

٢٤. موسوعة لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٧٩، ط١، ج٢.

٢٥. مقاييس اللّغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٤٤، م٥.

26. *le petit Larousse illustré; Paris cedex 06, id: 1998, p: 585; 586.*